

عرق القوارير

قصص

مها النهدي

ح) مها صالح سالم النهدي، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النهدي، مها صالح

عرق القوارير. / مها صالح النهدي. - مكة المكرمة، ١٤٣٩ هـ

٨٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٥ - ٥٦٣٦ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ. العنوان

١٤٣٩/١٣٤٣

ديوي ١٩٥٣١، ٨١٣

رقم الأيداع: ١٤٣٩/١٣٤٣

ردمك: ٥ - ٥٦٣٦ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا القصة صحيحة

ولا الضيعة موجودة!

فلا تأخذوا عبء الكلام على مَحْمَلِ الجَدِّ...



الفهرس

٩	مُطعمَة
١٠	شقة ٣
١٢	صبيّة
١٤	البحر
١٥	بردت القهوة!
١٧	النقّاب
١٨	قميص الدانتيل
٢٠	الدرويش حنّان
٢٢	هروب الأمل
٢٥	ثوبُ الحنين
٢٧	الخلاص المستحيل
٢٨	العنّمة
٣٠	القصر
٣٢	إكليل الخضوع
٣٣	عشق
٣٤	يا سلام عليك
٣٦	الممرُّ الأبيض
٣٨	ثورة
٤٠	صديقتي الوغدة

٤١	الظلام صديقي
٤٣	خربشة
٤٤	أشجار السنوبر
٤٦	بذرة اشتها
٤٨	على مَتَن الحُلْم
٥١	سجادة قديمة
٥٢	مرايا الصدفة
٥٣	الجَسْر
٥٤	موسيقى صوفية
٥٥	آلة الكمان
٥٧	سيلفي
٦٠	زكي
٦٢	أصْفَق
٦٥	كوريين
٦٦	كان يا ما كان
٦٨	رقص شَرْقي
٦٩	أغلى من جسد
٧١	على خط الخمسين
٧٢	انتحَاب
٧٣	صَبَّار
٧٥	نَجَوْتَ!
٧٧	راقِي

مُطعمَةٌ ..

لا أدري إن كانت هذه مقدمة أم قائمة طعام..!

الصديقة ابنتي تكره (المقدمات) لذا لن أسعى لكتابة مقدمة أدبية..

تشعر معها بالملل.. فهي جمهورُ الجارور الخفيّ الذي يُصفق لي،

والناقدُ الذي يضرب بكل نصٍّ لم يُعجبه عُرَضَ الحائط.

والحاكمُ الذي يضعني أمام مقصلةِ الضمير ووجهي في المرايا.

لكنّ يبدو لي أنّ عليها مراجعة حساباتها حول المقدمات.. فهي الفانوسُ

الذي ترفعه لينير السطور.

حبيبتي هنا لن أعدّ لك كعكة البرتقال أو الفتوشيني الساعة ١٣:٤ فجرًا!!

بل سأحدث عن القصص التي لطالما أمضينا ساعاتٍ طويلة.. نربط

خيوطها معًا حتى يكتمل البدر.

لن أهديكِ الكتاب.. فيكفي أنني لأجلك لم أكتب مقدمة وكسرت

الطبق.

فكرتُ مَلِيًّا أن أحذف هذه القائمة.. لكنّ لِلْحظَةِ شعرتُ بالجوع!

شقة ٣

ها أنذا أكتبُ بعدَ شهورٍ جافةِ بيؤسِ الساخطينَ
والمنقطعينَ عنِ الأملِ؛ تساؤلاتٍ عدةٍ تدقُّ رأسي:
هل أنا كاتبةٌ حقيقيةٌ أم أنني بقعةٌ حبر؟!

هل ما أبحثُ عنهُ هو ذاكَ الشيءِ الهلامي الذي يُدعى الشهرة؟
هل أستحقُّ هذهَ الانحناءةَ في رقبتي لأنني أنكسُ في الظلامِ أغزلُ
معطفَ القصيدة؟

اليوم.. وحينما أشرقتْ أصابعي بالكتابة، بعدَ أن هجرني الإلهام
نفضتُ غبارَ لوحةِ المفاتيح، وكنستُ ذاكرتي، حينها سمعتُ صوتَ أطفالٍ
من حولي، يركضونَ في كل اتجاه، يُشتتونَ أفكارِي، ويوزعونَ فرحتي،
رغم أنني أسكنُ وحيدةً في هذه الشقة، استكريتها منذُ زمنٍ بعيدٍ.
ضعيفةٌ التهويةِ والضوءِ، والأصواتُ هنا تكادُ تكونُ معدومةً، هي مقبرةٌ
على شكلِ بنايةٍ، كلُّ سكانها مَوْتَى عدا ذلكَ الضوءِ الخافتِ والحي الذي
يلامسُ قلبي كلما بدأتُ في كتابةِ سطرٍ جديدٍ، وسرعانَ ما يحتضر.

أصواتٌ أخرى اعتدتها ساكنةٌ مثلي :

(المكيفُ الذي يبكي من حرارةِ الصيفِ وليس لديَّ وقتٌ كافٍ لأكفكفَ

دمعه، ضجيج الغسالة يشعرنني بأنني بصحة ولازلت أتعرق، الثلجة تُفزعني كلما تهتدت فجأة لتذكّرني بأن هناك عضوًا جاء داخل جسدي، الأدرج الصدئة أمدها بالزيت في فترات متباعدة كي تتوقف عن زنها كطفلة مزعجة تشبه تلك التي أعرفها حينما كانت تمسك بثوب أمها لترغمها على سماعها، الأطعمة المعلبة أفتحها ويختلط مع الصوت رائحة الحديد الكريهة، أما الصوت الوحيد من بينهم؛ الذي يشعرنني بأن هناك من يهتم بي؛ هو ذاك الصوت الذي افتقدته منذ فترة طويلة وعاد اليوم ينبعث عبر شاشة الحاسب الآلي ليكتب لي (مرحبًا) بخلفية زرقاء ويأخذني بعدها إلى جرعة مضاعفة من الوحدة والعزلة).

حينما يغمرني طفح المساء.. ثم تتسلل ابتسامة أول الفجر؛ أسمع تدافع أكواب القهوة تتحاشر في الحوض، تهمس لبعضها بصيرورة الأقدار!
حوارٌ بائسٌ لا يعرفه سِوَاي:

- أمامها سكة سفرٍ طويلة، رغم ضياع جواز سفري.

- ستتزوج من ثري.. وماذا عن السنوات المنسية في قطار العمر؟

صورة كلبٍ على الفئجان الأخير وفي يدي سيجارة.

تلك الأعقابُ النتنة التي افترشت لونها البني في كل مكانٍ على أسناني ورائحة فمي، شعري، إصبعي، ومساماتي الواسعة، أنفاسي التي لا تحملني للطابق الأول.. ثم أزفر زفرةً محتملةً تجمع الأمل في رئة واحدة.

اليوم فقط أيقنتُ بأنني أسمع وأرى فقط.. لأكتب.

صَبِيَّة

بينما أتتبعُ مهارةَ مصففةِ الشعرِ في تصفيفِ شعريِ المصبوغِ بلونِ
الشوكلا، لمع الشيبُ في الجهةِ الوسطى من شعري، لا أعرفُ لِمَ نظرتُ
للساعةِ وقتها وسألتها بارتباك

- هل هذه الشعرة الوحيدة؟!

فتبسّمت وهي تكملُ عملها: (لا ولو، لسأتك صبيّة شو بدك فيها ما
تفكّري ما تفكّري)

أبصرتُ قطارَ العمرِ يسلكُ طريقه من رؤوسنا أولاً ثم مؤخرة ظهورنا.
أشعلتُ سيجارةً مرتبكة، ودخنتُ أكثرَ بكثيرٍ مما كنتُ أعده،
انتهتُ من شعري وقد سرحتهُ بطريقةٍ عجزية لتعطيه كثافة افتقدتها،
مع تعرقِ يدي وضعتُ في يديها ٥٠ ألفَ ليرة ندية وانصرفتُ مُنكبةً على
وجهي أعدُّ على أصابعي التي انتهت ولم أكملُ عمري الحالي!

كان المطرُ في الخارج غيرَ متوقع، وغزيراً، انتظرتُ داخل دكان الورد،
خلف الزجاج الدامع متكومة في معطفي.

اقتربَ من الأزهار الخائفة الباردة رجلٌ في العقدِ الرابع من
عُمره، يرتدي بزّة سوداءً طويلة، وشعره ممشط للخلف كذيل حصان

عربي أصيل، بلحية سوداء كثيفة، ووسيمٌ بما يكفي أن يبتسم القدر!
اتسعت عيناَي وهو يقدمني لمظلته السوداء ذات المقبض العاجي، دون أن
يتكلم، أشار إن كنتُ أرغبُ في أخذها لأخرج من معتقل الزهور هذا، دفعتُ
معه الباب دون تفكير انضمتُ تحت مظلتَه كطفلين سياميين، تلامسنا
في براءةٍ لم أعهدْها، وعدونا لنسبقُ عُمرنا نحو الحلم، تحتنا الماء
يتراقص مع خطواتنا، وصلنا وانزلتُ على المقعد بخفة فتاةٍ مراهقة،
أدرتُ محركها بحيوية، استدرتُ لأسأله عن اسمِه وقد غمرتني السعادة.
لم يكنْ هناك إلا ذكرى ومظلة معلقة على المرايا كالعمر... عذراى بشعر أبيض.

بيروت ٢٠١٣

البحر

كانت منسجمةً تماماً مع قُبَّعةِ الصيفِ المصنوعة من الخسف تُعطي
ظلاً يتماهى وينكسر على كتفيها العاريتين يرسم خطوطاً مُظَلَّلَةً على
أُسْطُرِ الكتاب، وساقاها مغمورتان بالفتنة، ووشم وردة تبتسمُ على جِلْدِهَا
الذي قَبَلَتْهُ الشمسُ قبلةَ الحُسْنِ الأَسْمَرِ.

الشاطئُ مليءٌ بالأجسادِ المتعطشة للشمس والبحر، تتحسر عقولهم في
كؤوس مترامية؛ بينما هي تقرأ الرواية التي سرقتها لعالمٍ تتفصل فيه عن
الواقع، استغرقت طويلاً ثم تنهَّدتْ، ترفع بصرها بِبُطْءٍ وتضعُ يَدَها فوق
حاجبيها لتصنع ظلاً مُضَاعَفاً على عينيها وأنفها تبحث عن طفلها الذي
كان يلعبُ في رمالِ البحر قبل أن تُصْغِي للسطور.

كان الوقت شاهراً صنَّارته ليرميَ بالطفل إلى أعماق الزرقة طُعْماً
للنسيان.

روما ٢٠١٤

بردت القهوة!

في اليوم الذي قررتُ أن أنصتَ فيه لكلِّ شيءٍ يُقَابِلُنِي في الطريق حتى وإن كانت متسولة مزعجة.

لأُطَلِّقَ لِلصَّمْتِ مساحةً شاسعة.. وأجلسُ معه، على إحدى الطاومات الخارجية لمقهى يُطلُّ على نافورة شُيِّدَتْ على هيئة حُورِيَّةٍ عارِيَّةٍ بذيلٍ يلتفُ حوله الأطفالُ والرجال، تمسكُ بصدفة كبيرة عند أذنها اليمنى، تسمعُ أخبارَ الريح، وتبعثُ بهديرِ الماء من جنباتها عازفُ نايٍ بالجوار يضعُ أمامه قبعتهُ التي يرن داخلها صوتُ العملاتِ المعدنيةِ على فتراتٍ تكلفه من الحزن والجوع الكثير الكثير.

ينقُرُ طائرُ الحمام الذرةَ المنثورةَ على الساحةِ وأضُمُّ المكانَ بعضنِ عَيْنِي مغمورةً بتفاصيلها، كان قلبي يعزفُ لصمتي على آلة الكون. طلبتُ قهوتي المُرَّة، وما زلتُ أصغي بقلبي لكلِّ الأصواتِ المترامية من حولي.

لكن حتى الأصوات لها قطعاً طرُق.

سمعتُ حوارَ الشواطئِ الجامحةِ تَرَوِي لِلرِّمَالِ رحلةَ الملح. أمُّ وطفلاها، يجلسان خلفي ولحظتها كنتُ وحيدةً كحطام سفينة تصرخُ الريحُ في بطنها، وبقايا أشرعتها مكتئة.

تقولُ للأوَّلِ الذي مالَ تحتَ ذراعِها وهي تتأملُه: ولدْتُكَ في يومِ
الأربعاءِ، كانَ البدرُ مكتملاً وجئتُ منه متضرعاً بالنور!

أما أنتِ فكانَ نهارُ الاثنينِ غائماً والعُشبُ مقشعراً، ينظرُ للسماءِ كي
تهطلي وتنعَمَ بكِ الحقولُ.

كانَ كلاهُما يتنافسانَ على اللحظةِ التي عرفا فيها التنفسَ والصرخةَ
الأولى.

أما أنا فلمَ يبقَ بيني وأمِّي إلا صورةٌ في بروازِ سبعيني، وصراخها
المستمر على سماعةِ الهاتفِ، تأمرُني بالابتعادِ عنها لتنعَمَ بالسلامِ وسَطَ
عائلتها الجديدة.

بينما أبوهما مُنشغلٌ في طبقه وهي تسردُ لهما الاحتضانَ الأوَّلَ وحيرةَ
الأسماءِ؛ وهو يبتسمُ دونَ أن يُعقبَ.

كانَ الحوارُ يمرُّ في شراييني مُروراً الدَّواءِ؛ طعمُهُ مرٌّ لكنَّهُ شافٍ،
رَكَنَ كُلُّهُمَا رَأْسُهُ على كَتِفِهَا يتزاحمانِ على صَوْتِهَا الذي يخرجُ وكأنَّها
تعزفُ قِصَّتَهُمَا من نوتةِ الذكرياتِ. سقطا على حجرها وكانَّهُمَا قمرانِ
يدورانِ حولِ كوكبةٍ، حتى بردتِ القهوةُ.

إسطنبول ٢٠١٥

النقاب

تساقطت أوراق الخريف عند باب البناية، تجمعت على الجانبين متأهبةً لاستقبال رئيسة دولة الانتصارات بمراسم استقبال عسكري، تطير الأوراق عند خروجها كأعيرة نارية، تلف عباءتها بحزم، مُسدلةً الظلمة على وجهها متوجهة نحو الحرية .

نجحت بعد سنوات من الاضطهاد والحبس الاجتماعي، أن تفترس معاناتها وتضع قدمها خارج القفص، خرجت حاملةً ملفها الأخضر وشهادتها المتواضعة، باحثة عن لقمة شريفة تصون بها أحلامها وثوب زفافها الذي ينتظرها في منتصف مسرح الحياة، خرجت لتكون أول بطلة ينقلب ضدها رجال الدين؛ والمجتمع بأسره؛ دون أن تكثرث وقت خلف (الكاشير) تمرر البضاعة بابتسامة رضا تظهر من خلف نقابها.

قميص الدانتيل

رائحة حُزْنٍ في المَمَرِّ عَصِيٌّ عَلَيَّ تَجَاهُلُهَا.. وما كان بمقدوري
الانضمام إلى وجبة الإفطار في شقة صديقاتي، كانت تملؤ ضحكاً تُهَنَّ
وَسَطَ تَأْمُرُ أَنْفِي وَاِعْتِصَارَ مَعْدَتِي، فَأَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ نَمَّ حُزْنٌ... ولقمة
حسرة تقف في حلقي.

ولأول مرة أُسْحَبُ عِلْبَةَ سَجَائِرِ صَدِيقَتِي وَأَشْعَلُ وَاحِدَةً بِتَوْتِرِ.
بنات:

- أنا لستُ مستعدة بالفعل، لستُ مستعدة، للعودة إلى شقتي
واستقبال زوجي العائد من السفر، ليني أمكث مَعَكْنَ كُلِّ الْحَيَاةِ، فَأَنْتَنَّ
تَقْبَلِنَنِي دُونَ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ كِيلُوجَرَامٍ وَاحِدٍ لَتَبْدَأَ سَعَادَتِي، تَبْتَسِمَن
حِينَمَا أَبْتَسِمُ وَتَغْرَلِنَ مَعْطَافًا مِنَ الْمَوَاسَاةِ حِينَمَا يَتَكَبَّرُ الْحُزْنَ عَلَى صَدْرِي،
أَنْضِحُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ دُونَ خَوْفٍ أَوْ تَرَدُّدٍ، تَجْتَمِعُ قُلُوبُنَا عَلَى حُبِّي.

ثم أأتحصّر لِرَجُلٍ سَافَرَ دُونَ قُبْلَةٍ وَدَاعٍ تَمُدُّ يَدَهَا لِلصَّبْرِ لِحِينِ
عُودَتِهِ لِيَحْتَضِنَ حَمَامَاتٍ عُمُومِيَّةٍ عَلَى هَيْئَةِ فَتَيَاتٍ؟!

وماذا عساه شعري المنسدل وقميص الدانتيل أن يفعلاً؟

وقد امتلأت معدة تجاوزي الكثير، وسيتقيأه حظي لا محالة، أغسل
ذنوبه بصبري حتى اعتاد الغفران.

لستُ ربّاً لأَصْفَحَ فقد تحوّلَ جحيمُ الصبرِ وجعاً ورماداً يُذَرُّ في مَهَبِّ
النسيان.

- قولِي: صباح الخير أولاً!!!!

صديقات

الدرويش حنان

جلس تحت الشجرة يشربُ من وعاءٍ معدنيٍّ كتبت على حوافه أسماء
الله الحسنَى، ماءً تمتم فيه، وقبل أن يشربَهُ نهَضَ مُسْرِعاً في اتجاه
الخارجين من باب المسجد.. يصيح بأعلى صوته:

- ما هكذا الصلاة، ما هكذا حبُّ الله..

الصلاة صلاة القلب في جماعة.. يا عبيد الله عودوا لرشد قلوبكم...

الله على القلوب السابحة في كماله، الخاضعة لجلاله، الهائمة
في عشقه.

يتجنبونه وينصرفون في تلويحات كفيلة بعناده.

شعر برغبة في التبول، فوقف تحت الشجرة التي سُميت باسمه
(شجرة الدرويش حنان) كانت باسقةً وظلالها تمتد لتغطي جزءاً كبيراً
من الطريق وفسحة جميلة من العشب الأخضر، أدار ظهره وهو يردد:
سبحانه كيف يُخرِّجك بلا تعبٍ ولا جهدٍ، سبحانه.. الحمد لله.. الحمد
لله!

اقترب صبي في الثانية عشرة من عمره وعائره: حنان المجنون يتبول..

فوكز حنان الصبي في بطنه بعصاته ونهره.

وانحبست فرحة الصبي لأيام، بينما الدرويش

يُغَطُّ في الكونِ ولا أحدَ يعرفُ مداه ولا وصله، يعود بثياب مُتَسَخِّةٍ
بالية، وفي الفجر يخرج من اللامأوى نظيفاً مشرقاً.. في يمينه مسبحةٌ
أَلْفِيَّةٌ ويتوكأ على عصاه.

خيمَ الظلام وزار اليوم الثالث سكينة القرية، وبينما تَسْبِرُ رُوحُ
الدرويش أغوارها في صوت التناغم الذي يربطه بذلك العَالَمِ الأبيضِ
النقيّ، يبتهلُ في حراسة تحصينه ويتلمس صلته باللَّه بطريقته الخاصة،
سَمِعَ هاتفاً جعله ينعطفُ نحو القرية عائداً لها مُحَمَّلاً بخفقات تأخذه
لبابِ الصبي الذي راح يقرعه بقوة، وقف أمامه الأبُّ في دهشةٍ وأسرع
ليُحْضِرَ ابنه، وضع يده على سُرَّتِهِ فتبول في الحال، وسط زغاريد أمه.

هروب الأمل

حَلَمْتُهَا تَنْزِفُ وَتَشْكُو مِنْ تَوْرُمِهَا...

هذه الشكوى التي لأجلها ذهبنا لطبيبة النساء التي نظرت للخادمة بعد الفحص.. بنظرة استحقارٍ لا تخلو من التهكم:
- حامل.

حشرتُ حجمها الضخم في كرسي المكتب، فعلق جيب المعطف في مقبض الدرج، نزعته بقوة، مزقته ثم رمقتني بنظرة لؤم وشفقة:
- خادمك حامل يا مدام هل زوجها هنا؟!

تشبثت ميري في ذراعي تشبث طفلة حان وقت تطعيمها
خاطبتها في تماسك:

- هل تشعرين بحملك؟

امتلات عيناها بالدموع وغطت وجهها بكفيها
بينما أكملت الطبيبة شرحها للحالة:

- قبل كل شيء تأكدي يا مدام من الأب، ثم أردفت مع من تعيشون؛
هل هناك سائق أو شبان أو زوجك مثلاً؟

على العموم اصري لها هذا الدواء لتتخلص من الدوار، ومرهماً

لتسكين ألم الحلمة، أمّا تأخر الدورة الشهرية فقد شرحت السبب.

- عفواً دكتورة، كيف هذا ونحن لم نتأكد عن طريق تحليل الدم.

- تعلميني عملي؟!

هي قالت كل الأعراض بالإضافة لانقطاع الدورة الشهرية، فهي تشعر بدوار ورغبة في القيء كل صباح، كما أنها؛ كما يبدو لي؛ متقلبة المزاج هل هذا صحيح؟! (تنظر لميري)

في استدارة ثانية نحوها: هذا ما تشعرين به؟

غاصت في رحلة مظلمة أجهل وجهتها لكن ملامحها كانت تؤكد تعاسة رحلتها وإصابتها بالذعر قبل حتى التحليق.

وقفت ثم فردت ذراعيها كمن يريد الطيران بعيداً، لكنها سرعان ما ضربت بطنها بضربات متتابة وسريعة وهي تذرف الدموع.

رفعت الطبيبة الوصفة في وجهي ومضيئاً.

خرجنا كصديقتين خذلهما الطب، وبينما تسيح الملامح في عينيها كنتُ أتأملُ الصمت، وأشيحُ بوجهي عن الواقع، وأبحث عن الأمل بضوء كبريت قاربت ناره أصابعي، وعندما أحرقتني قررتُ أن أعود مرة أخرى لأطلب تحليل دم وبول.. لكن التحليلين كشفوا عن النتيجة ذاتها - (خادمك حامل)!

توقفتُ لبرهة أنزل حمول رأسي بكوب قهوة بائس من الكافيتريا التابعة للمستوصف، بينما أنا أقف هناك أتجرع طعمها العكروهي واقفة أمامي كزهرة

ذابلة عيناها على اتساعهما متمسرتان في الأرض وكأنها تحفر قبرها بعينيهما.
وهكذا حتى عُدنا للبيت نحمل خبر مولود قادم، لم أهتم وقتها من يكون
ذلك الأب؟

بل كنتُ أحلم باللحظات التي أبتلع فيها أول حبة مدرة للبن
والبقع العكرة على قميصي.. النظرات المتبادلة بيني وبين الرضيع..
أركض خلفه وهو لا يتجاوز طوله ساقي.. أقص أظافره وأعلمه دخول
الحمام في سنٍّ مبكر.. أقله للمدرسة وأحضر لأجله مجلس الأمهات، أرتب
جدوله المدرسي، ونحفظُ معاً الإذاعة الصباحية، ثم أحكي له قصة بعد
أن نعلق رسوماته على الثلاجة، وسأحرص على تعليمه سورة الفاتحة قبل
كل شيء... حلمت بكلمة (ماما)!

ثم سرعان ما أفقتُ من شجن الأمومة... على صوت باب الحلم
يُفتح ويضر لبن الأمل هارباً... إلى التلاشي.

ثوبُ الحنين

ماطرًا كان الطقس حينما طرق الباب شخص غريب يحمل على ملامحه
تعب البحث عن البهجة وإجهاد الفقر يحضر طريق الأمانة بشوكة عزته.
سألته السيدة مِنْ سَمَاعَةِ الهاتف الذي يتصل بباب الفيلا الخارجي
عن هويته، كان يعتصر كلامه...

- مَنْ هناك؟!

- أنا زوج فاطمة التي كانت تعمل عندك..

- أهلاً.. هل هي بخير؟!

- أجل أجل هي بخير.. لكنني أحمل لك أمانة.

- تفضل.. فقط ادفع الباب.

لم يكن قراراً سهلاً بعدما ترمّلت وتزوَّج أبنائها أن تفتح الباب لكلِّ
طارق، لكنه أثار فضولها،،، في أن تكون فاطمة شعرت بجوعها في هذه
اللحظة وأرسلت طبقها المفضل.. هبطت السلالم بيّطاً متعكزة على
الحائط مرتدية وشاح الصلاة.. رمت جسدها المجهد من هذه المسافة
القصيرة.. على كرسي وضعته مسبقاً لهذه الحالة. تتسارع أنفاسها

وتُشير له أن يقترب، كان على مدخل الباب يقف خالي اليدين.. وثوبه
يبرق بالذكريات التي اجتاحتها من أول نظرة، فقد كان آخر ثوب ارتداه
زوجها قبل موته، وكلما اقترب طار في الأرجاء طائر الشجن حاطاً على
كتفيها.. وعندما انتصب أمامها؛ لأمس دفء مشاعرها..

أخرج خاتمها الذي فقدته من جيبه فلمعت ماسة الخاتم الذي لم
تتراكم عليه الأيام.. تتفحص أصابعها وسط غمرة من الأمنيات عادت
بها لأول هدية قدمها لها زوجها.. يفتح بعودته باباً من الأحزان، تحط
السماء دموعها في رقة من لأمس وجّه حبيبه بعد رحيله، ناولها الخاتم في
استحياء.. في مشهد مهيب

انسكبت فيه الدهشة مُغتسلةً بالحنين،

كانت لحظةً مغمورةً بالحب،،، أول خاتم وآخر ثوب.

الخلاص المستحيل

ليس إلا رجلٌ وضيع، قضيتُ معه عشر سنواتٍ ملتهبةٍ بالمشاكل والمشادات، ولولا انشغالي في التدريس؛ الذي عانيتُ حتى أصل له؛ وخصوصًا بعدما منعني من إكمال دراستي وتدخل والدي ليحل المسألة؛ لكنني على ضفاف الحاجة، أنجبتُ ولدي، اللذين أخشى عليهما منه، لشدة ولعه بالغلما ن! منذ أن اكتشفتُ غرائزه الشاذة وأنا في ذهول، لذا كان لزامًا علي أن أفر بمستقبلي قبل أن يقع سقف العار على رؤوسنا جميعًا.

تجمع عائلي كشف لي ميوله بعدما مكث طيلة ذاك النهار يتنقل بعينيهِ بين مؤخرات الأطفال الذين التفوا حول حمام السباحة يتقاذفون الكرة، ثم اختلَى بأحدهم الذي لم يتجاوز الحلم.. ببراعة من أتقن اللعبة! لم تتلبسني الغيرة... بل فجيعتي على البراءة وعلى العشرة، كانت أشد وطئًا من أيِّ مشاعر، لا أكنها له أصلًا..

أسرة بأكملها لا تملك ذرة من الإنسانية، فحينما أبلغتُ والدته عما يغضب الله، قطبت عن حاجبيها، في لحظة أولى أسرتني بطيف نصر قادم نحوي، وعصبية تتأهب للثأر من حقيقة ابنها الصادمة، عَجنت مقدمة ثوبي في يدها وشدتني لها بكل قوة لم يوهنها العجز وقالت:

- ليش لا يا عاهرة؟! المرأة الحقيقية لا تُردُّ زوجها عن حاجته!

العَتمَة

أعملُ في صالونٍ نسائي، لم أكن بالجمال والطول الكافي اللذين يسمحان لي بأن أكون من مصافِّ العاملات، هذا بالنسبة للزبونات اللاتي يرمقنني شَزراً حينما تُرشحنِي صاحبة الصالون؛ التي تثق بقدراتي، لكنهن يوافقن ثقةً برأيها، أرتبك وأتوتر لكن سرعان ما تربت على كتفي لتزيدني مثابرة، وهكذا حتى أصبح لي عددٌ ضخم من اللاتي يثقن بي ويطلبنني بالاسم (بطة).

لا أنكر بأن بعض التقنيات لم أستخدمها من قبل، لكنها ساعدتني في تعلم أدق التفاصيل وأكثرها رواجاً، مضى وقت طويل على تلك الشابة التي فتحت لي ذراعيها طيلة ثمانية أشهر، وهي الفترة التي بقيت فيها معنا حتى قررت في يوم أن تتنازل عن المكان لإحدى صديقاتها بمقابل معنوي لم أفهم سببه، كم كان الفراق شاقاً على نفوسنا جميعاً، انتكست حالتني النفسية فلم يدعمني بعدها أحد قط وانسحبت الزبونات؛ الواحدة تلو الأخرى؛ حتى أصبحت غرفتي عالية مادية لا تُدرُّ لهم إلا مرتبات تُصرف نهاية كل شهر!

استقلت قبل أن يتفاقم وجعي، وزادت رغبتني في الأكل، حتى شعرت في يوم بحالة من التخمة رحّت على إثرها للطوارئ في أحد المستوصفات القريبة من حيننا الشعبي، كتب لي الوصفة التي على إثرها فقدت الرؤية

بعد ثلاثة أيام، وهو اليوم الذي أتممت فيه العتمة والألم، كان الأمر تدريجياً، لكنه رغم تدرجه لم يكن متوقعاً، كما أن الشماتة لم تكن متوقعة أيضاً.

التعثّر بالحزن أهونٌ بكثير من أن تتعثّر أذناك بضحكة أحدهم يكتمها، لأن يدك لا تدلك على مكان شفّتيك، لأن الطريق خانك، فتموت البسمة في وجهي على مراحل، بقيت الألوان عالقَةً في ذاكرتي، فطلبت من أمي المفجوعة على حالي رأس دمية كبيرة، فابتاعت لي واحدة، كنت في كل يوم أخرج علبة المساحيق من مكانها متحسّسة ذاكرتي ومسندة أجلي في أن هذا الأمر سينجح بعد حين، أتحمس جفونها ونعومة الفرشاة في يدي وأفرش الألوان بخوف دقيق، على عينيها، أمرار أحمر الشفاه بتردد، تشابهه ملمس العبوة يربك ذاكرتي، أذكر يومها أنني طلبت من والدتي أن تساعدني في التعرف على الألوان، وقررت أن أضع علامة تحفظها أصابعي، كان للون الأحمر جرحانٍ بالمفتاح على ظاهر العبوة، والوردي له انبعاجه بفعل حرق أحدثته لأتعرّف عليه، وهكذا لكل شيء بصمة، حفظتها كما أحفظ اللحظة التي تعرفت فيها على النور أول مرة، كنت أمّني نفسي بأن ما يحدث هو إعادة تدوير لحياتي وبأنني سأولد في لحظةٍ ما، حينما تنتهي العتمة الأخيرة.

القصر

تمردتُ على أهلي وقبيلتي لأعيشَ هذهِ الحكايةِ في ذاك القصر المشيد
في أرقى أحياء المدينة، يطل على ثلاثة شوارع والرابع قصة حزينة يكبر
فيها بطن الشهور بالأسى، يصغر داخلنا الأمل وتتطفئ مدينة النور، ينوح
النومُ في أجفاننا وتَجُورُ الوسادة، يظهر من خلف الشيطان شخصيةٌ منَّا
لكنها تختلفُ عنا!

نجاهر بمعاصينا ونرفع علم الخزي عاليًا دون خجل، ليس فيلمًا
سينمائيًا إنما حقيقة، سحبت أقدامي إلى هاوية الإدمان على يد زوجي
صاحب القصر الذي يهديني في كل ليلة جرعة مضاعفة من الكوكايين،
حتى فقدتُ بهجةَ الوقت واختلطت الساعة، ومرَّت السنواتُ هزيلةً تتحني
للأرضِ في هزيمة، ضعفٌ فيها جسدي وودَّعَ اتزانهُ ورفعَ رأيتهُ.

خلفَ البَشْرَةَ الشاحبةِ وملامحِ الدُميمةِ المندسَّةِ تحت انقاضي، يقفُ
الطبيبُ مسعورًا يطلبُ المزيدَ لِيَسْكُتَ عن الفضيحةِ، يصرخُ زوجي في
وجهي كلما حال بيني وبين جرعة واحدة مقابل هُدوئي، وتقر ملابسي مني
كجريح، وأبقى عاريةً فوق الوسادة أو على الأرضِ أعضُ يد الحظ، لكنني
رغمَ كُلِّ الأعراضِ الانسحابيةِ كنتُ أناجِي اللهَ أن يأخذَ بيدي لألوذَ بالفرار
من أقربِ نافذةٍ للحياة، لكنَّ الأشهُرَ هجرت وقتي وكانت لحظاتي سنينَ
أدهَسُ فيها عروقي حتى يقفَ القلق، لكن الخروجَ من أسرة متعاطية عن

بكرة أبيهم مأساة، وعلمت وقتها ما هو الاحتضار، هي اللحظة الصريحة التي تُخاطبك فيها الحياة أن اللعبة قد انتهت وأنَّ عليك مغادرتها الآن، وما النزاعُ بين الجسدِ والروحِ إلا لحظة تخاصم البرزخ مع الواقع، هذا بعد أن أشرق وجهي وتعافيت وأحببت الشمس لأنني عشت قصتها.

فاذا كان لا بد من النور فعليك أن تبدأ من الظلام، أشرقَ جسدي من سُكره وأبصر قلبي الإيمان تحت توبة صادقة.. ضربتُ وريدي حتى نضر على جلدي أخضر مزرقًا طازجًا، واستعادت الحياة ألوانها وتوردت خدودها. لحظتها دسستُ تحت جلدِ النسيان حقنة.

إكليل الخضوع

أَقْبَحُ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ، يَرْتَمِي تَحْتَ أَقْدَامِهَا الرِّجَالُ وَتُبَدِّلُهُمْ كَمَا تَبْدُلُ أَحْدِيثَهَا، وَعِنْدَمَا عَشَقَهَا الرَّسَامُ الْأَخِيرَ الَّذِي خَارَتْ عَاطِفَتُهُ؛ رَسَمَهَا بَوْلَعًا وَعُرِضَتْ لَوْحَتُهُ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ بِعَنْوَانِ (الْأَقْدَامُ السَّاحِرَةُ). أَشْعَلُ بِتِلْكَ اللَّوْحَةِ فَتِيلَ الْغَيْرَةِ، فَأَعِدُّ نِسَاؤَهَا مَكِيدَةً وَأَعْطِي كُلَّ مَنْهِنٍ سَكِينًا فَلَمَّا أَقْبَلْتُ أَكْبِرْنَ قَبْحَهَا وَقَرَّرْنَ أَنْ يَقَطَعْنَ قَدَمَيْهَا لِيَجْفِفْنَهَا وَيَأْخُذْنَ مِنْ بَعْدِ طَحْنِهَا إِكْلِيلَ الْخُضُوعِ، وَكَانَتْ الْخُطَّةُ مَتَقَنَةً، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ سَجْنِهَا، ثُمَّ أَمْسَكَ بِقَدَمَيْهَا وَالسَّكَاكِينُ بَيْنَ أَسْنَانِهِنَّ الْمَسْعُورَةِ، يَضْغُطْنَ بِجَبْرُوتِ الْغَيْرَةِ عَلَى سَاقِ الْفِتْنَةِ وَفِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ قَدَدْنَ عَنْ ثَوْبِهَا، رَفَعْنَ قَدَمَيْهَا فَكَانَتَا قَدَمِي حِمَارٍ.

عشق

تُظهر الأشعةُ أنَّ لدى الرضيعِ الذي يبلغُ عمره ستة أشهر، كسرًا في الجمجمة ونزيفًا داخليًا وما تعرض له ليس سقوطًا عاديًا كما يدعي والداه.

كانت الأمُّ الشابة تبلغ ستة وعشرين عامًا، يافعة صحراوية، في داخلها قصة أرض ظمأ لم تُروَّ من قبلُ بالحبِّ، تبدو هادئةً لكنها أكثرُ وحشيةً مما نتصوَّر، فالصحراءُ لا ترحم من فيها، قاحلةٌ عابسة، ليس كما يظهر البتة، وخطورة أن تجلب صبارًا إلى حافة النهر يعني أن تعرض الماء للموت، تتلثم في الكلام وتتشتت.

كان الزوجُ في العقد الخامس من عمره، يبدو عليه الإعياء والاستسلام والعشق لتلك الشابة التي سرعان ما انفجرت بالبكاء دون ضغط، وأكدت بأنها الفاعلة بسبب الشوك الذي كبر في صدرها حتى وخز ثوانيتها، فهذا الولد الأول بعد ثلاثة بنات، ودلال زوجها له وانشغاله به، عَجَل في عقارب ساعته، حتى أمسكت برضيعها وهشمت رأسه في الحائط، ولم يكن لزوجها العاشق إلا أن يدافع عنها، يُلقى بالجريمة على عاتقه وأنه هو من قام بذلك، بينما تتدافع مشاعرهما وينام ضميرها بسلام، تُردِّد: - نعم أنا قتلته ولستُ بنادمة، فالحب لا يعرف المشاركة.

يا سلام عليك

منذُ أن تعلمتُ كيف أشقُّ شعري لنصفين وأضفرهما ثم أضع عليهما الشرائطَ البيضاء المتدلّية، أصفُّ الأقلام بجانب المدفئة، وأوراقى البيضاءُ يسجد عليها فنجانُ قهوتِكَ الفارغ، أنهي واجباتي بسُرعةٍ قبل أن تلامسَ طرقاتك الباب، أدفع نفسي بقوة وأنا أشدُّ جدائي وأمرُّ شرائطي بالثبات، أشرع الباب لنسائِمِك، فيغفُو عطرُكَ على جدائي، تسألني بصوت حازم حنون:

- كيف كانت واجباتك؟

- تفضّل راجعها لحين أن أحضر لك القهوة

- أقلبُ قهوتك أكثر من مرة حتى تفيضَ، وأستيقظُ على ارتشافِ مذاقها المتوسط، أعودُ لأجدك سارحاً في ضوء المدفأة، أسكبها في فنجانك الفارغ فتسكب على الأوراق البيضاء، أنتهز الوقت الصابر على عشقي، حتى يمضي وتستنشق مسامي عمقك.

- نهيّ الدروسَ بعد ساعةٍ من التوهان في ملامحك، لتنزلَ وتجلس (على القهوة) وأكون أنا بمعطفي المزرکش الصغير أقفُ على الكرسيّ أرمق زهراتك المنتصرة فوق لعبة الطاولة. صرخاتك الرصينة: ”يا سلام عليك“، وأنا أردد خلفك: يا سلام عليك.

أنتظر الصبح حتى أمسك بيدك وآنزل السلالم في زفافٍ صباحيٍّ
إلى المدرسة، تلقي دروسك وأتلقى دروسي ثم نعود معاً كزوجي الحمام،
وحيماً أتيت على غير موعدهك ليلة الثلاثاء، وشعري منسدل دون شق
فيه، دسست في كتابي رسالة انتفض لدسها سائرُ بدني، أخذتني ملامحُ
البهجة على أرجوحة الحي، تراقصت نبضاتي وبقيت حائرةً بين الضحك
والبكاء، خبأتها في كُمِّي، ثم تواريت خلف الباب بارتعاشة باردة، شممتها
بيقين النبي يعقوب، هذه ريحه، وبفرحة عاشقة قرأت السطر الأول:
ابنتي الغالية والعزيزة... ريم!

٢٠٠٨

الممر الأبيض

الضمير الميت يستطيع التلون وارتداء الأقنعة !

ليس كل روب أبيض هو ملاك بالفعل..

بعد يوم شاق بين ممراتٍ تحتضر، نجتهد فيه أن نكون الممرضات اللاتي يحملن الرحمة في حقنة ندسها برتابة تحت بشرة تتلون بعد أن ندس فيها حكايتنا.

تعلن لنا عقارب الساعة موعد الانصراف، حيث تثبتُ الحقيقة من بين شقوق الكلام المتصدع بالمشقة والتعب، وفي يومها كان الطقس حاراً والعرق يلوّث الحديث بيننا، ولا نسمة تبشر بخير، خرجنا أنا وزميلتي الجديدة، التي كانت تبدو غاية في الرقة والعفة، حاملين رائحة المستشفى معنا ملتصقة في جلودنا، بما أن المشوار كان طويلاً؛ ركنت هي إلى متابعة حساباتها الاجتماعية على مواقع التواصل، بينما أنا منشغلة في تتبع الطريق، الذي كلما سألتها عن وجهته أجابت: إنها مفاجأة سارة لا تفسديها بكثرة الأسئلة، فقط أحكي ستر روبك الأبيض بالعباءة، توفضنا عند بناية شعبية في حي متأزم بالعضن، ترجلت مُحَكَمَةً إمساك عباءتها وتعديل نقابها، بعد أن صرعتني بطلبها المفاجئ لمبلغ ناولتها إياه، ورقة بخمسمائة ريال؛ خرجت من محفظتي تحتضر؛ فهي آخر ورقة لمنتصف

الشهر، مضى من الانتظار عشر دقائق، بعد أن فتحت الباب سيده مُسِنَّةً
سَمراء، لم تسندها عافيتها في تفحص هوية الطارق.

أطلَّ شابُّ بملابسه الرثة من خلفها، وضع في يد صديقتي معجوناً
أسمر، كان التوتر شلالاً والدهشةُ خرساء، لم تمضِ ثلاثون دقيقة
أخرى كانت أختاً للعشر الأولى، حتى توقفنا أمام بناية فارهة، لفظت
أنفاسي ببطء، وكأنني أتقيأ ما بيننا في شارع ساخن سرعان ما
تبخر فيه رائحة الصبر، تعاركنا في صورة متأزمة بين ما خبَّأتهُ
في حقيبتها وستدخنه ببساطة، تاركة ظروفي تفرق في الديون!
تشدني لتغير مسار لحظتي في قوة مئة رجل، وجدتني أقف على باب
الشقة، فُتِحَ الجحيمُ على مصراعيه حينما شاهدتُ من أعرفهنَّ جيداً،
في أحضان العُهر يتبادلن كؤوس الانحطاط في حوار مترنح عن الفضيلة
والإنسانية.

ثورة

بينما أنا في زحام صالونات التجميل؛ وقبل العيد بيوم واحد؛ طلبت
فنجان قهوتي الخامس حتى يحين دوري!
أراقبُ عن بُعدٍ أربعة سيداتٍ بأنوفٍ متشابهة، كصلصال الأطفال،
كلهن منتفحات الوجنات والشفاه، الغريب أن أنوفهن تتطابق في الدقة
والفتحات ورؤوسها المقطوعة، وكأنهن جرحى حرب، استأصلت المعركة
منهن جمالهن الطبيعي، ولا أستطيع تقدير ما كنا عليه في السابق، كلهن
يتفاخرن ويتحدثن عن طبيب التجميل الذي أجرى لكل واحدة منهن هذه
الترقيعات.

كل هذا الكره يحملنه ضد أنفسهن؟!!

وضعتُ فنجاني وأنا مشمئزة من طريقتِهِنَّ الثقيلة في الحديث، حتى
أنهن لا يستطعن رد أطرافهن.

نظرتُ طويلاً وأنا أسخط على الشيطان الذي سَوَّلَ لهن التبتك وسخر
لهن طريقاً للثورة ضد طبيعتهن!

نادتني الطبيعة بعد فنجان قهوتي السادس، تسمرت أمام المرأة
وأمعنت النظر مرة وأخرى وأنا أضغط على أنفي: (يبدو بأنه كبير قليلاً
مع تقدم عمري)!

وأصبحتُ أنظر له من الجهة اليسرى ثم أستدير لليمنى ثم أرفع رأسي وأنكسه لأتأكد أنه فعلاً كبيرٌ، عدتُ أضغطُ عليه بسبابتي من الطرفين وكأنني أُحدِثُ فجوةً داخل وجنتي، لكنني وجدته لا يزال منتفخاً ومتكوراً كبطن عصفور. ملأتُ فمي بالهواء، رفعت حاجبي وقرصت شفتي، بينما سيدهُ تطرقُ البابَ عدة مرات ولكنني استسلمت للمرأة للأبد.

صديقتي الوغدة..

اسْتَلَمَتِ الظرفَ وقبل قراءة الاسمِ عصفتْ رائحتها تُغرقُ ذاكرتي،
سَمِعْتُ صوتَهَا كالنساءمِ في أذني، تضحك أزهارها مع بداية الربيع،
وقفت أتأمل الظرف لدقيقة أعادتني لعشرة أعوام مضت!

عشرة في جيب ذاكرة السكر تحني كطفل يلعب أصابعه، كنا صديقتين
على حافة العقل إلا شعرة تَمُرُّ الآن في رسالة

أفتح الورقة باباً للذكريات:

صديقتي الوغدة....

كم بلغ عدد ضحاياك؟!

انتهت الرسالة.

تنفستُ الرسالة حاملة ضحكة غارقة في السعادة تحلق إلى حضنها
البعيد، حيث هي تعيد أدراج البهجة في صدري حينما قررت الرحيل
للروب الأبيض وقررتُ الأمل في الزواج.

الرياض ٢٠٠٢

الظلام صديقي

الظلامُ صديقي. هذه كانت إجابتي لطفلي حينما أمسك بطرفِ ثوبي
مختبئاً بجسده الصغير خلف ساقِي، ونحن نعبُر الممر المؤدِّي للمطبخ،
أشعلتُ الضوءَ بينما يتسرب الخوف من عينيه وهو يشرب الماء.

- ماما ألا تخشين الظلام؟!

- لا حبيبي.. الظلامُ صديقي.

هذه حقيقةٌ شعرتُ بها حينما كنتُ طفلةً يرعبونني بالظلام، فقررتُ
أن أصادقَ هذا الرعب بمراقبته، كان ساكناً مرتبكاً خاضعاً مستسلماً
لأي ضوءٍ مهما كان خافتاً يبده ويحيله للشيء، من ذلك الوقت، آمنتُ
أن الظلامَ صديقٌ خائفٌ يجوع للنور، فولد الضحى في صدري، وأهديته
للصديق الجديد، لأستشعره يرتفع ككوكبٍ دريٍّ يُوقد أمامي وأبصر
في جلابِ صديقي كما في النور تماماً بإيمان صادق أن ليس لأحدهما
سرمدية الخلود والبقاء لا النور ولا الظلام!

- فهمت؟!

- لا شيء... ماما

كنت أدخل البيوت المهجورة في الحي، ثم أخرج لأحكي لهم عن شبح
صادقته، أنام في غرفةٍ مظلمة، وأختبئ في الأماكن المعتمة حينما نلعب

الغميمة، حتى بُتُّ مضرِبًا للشجاعة عند بقية الأطفال، وما زلتُ أحمل
هذا اللقب (شُجاعة).

وثقتُ بفطرتَه على التبدد ثم كبرت وعرفت أنه بيتي الأول الذي تكفلني
بالرعاية والأمان طيلة تسعة أشهر!

وأنيسي الذي يروي لي حكاية ما قبل النوم، وما إن أنشز بالأفكار
حتى يهجرني لتهجرني معه لذة الأحلام ومتاع المأوى..

غدًا ستكبر وينتهي هاجسُ الظلام..

لكنني لم أفهم بعد!! ماما

خربشة

طلت جارتها من خلف ستائرها الممزقة..

تترقب نظراتها صالونَ جارتها البسيطِ الأثاث، تفتش بين الأضواء
عن حدث يأتي بها مسرعة على جلدة وجهها لتحكَّ أزرار المصعد وتصل
لتخربش الباب بفضولها، تدخل فتتلفت من حولها... تحاول لكنها أغلقت
المصباح مبكراً وأرخت الستار على آخر مشهد في حياتها.. شعرها
الأسمر منهزمٌ يتأرجحُ والعمرُ مختنقٌ بحيل، كان خلف المصباح يتمدد
الهواء ليلعبَ بجسدها في هاويةٍ دون أن ترتطم.

وورقة مطوية بعناية أفلتت من يدها:

لا أتحمّل الفضوليين...

إيطاليا- روما ٢٠١٤

أشجار الصنوبر

كانت ظلالُ أشجار الصنوبر مُمتدَّةً بمساحة ٥٠٠ متر، ترامت
الأجساد فيه،

يرقدُ كلُّ منهم بحرية.. بعضُ السيداتِ وَضَعْنَ صدرياتِهِنَّ في الحقيبةِ
وَتَرَكْنَ الشمسَ تُغَازِلُ أجسادَهُنَّ بحريَّةٍ؛ كلِّما سنحت نسمة خفيفة بأن
تفسح مجالاً بين الأوراقِ الفواحة لضوئها الرقيق، والرجالُ مسترخون
مُطمئنونَ على محبوباتهم؛ ترقد كل واحدة بجانب حبيبها بخصوصيةٍ
عامة!

كنتُ ولأوَّلَ مرةٍ أشاهدُ عُشًّا أعلى الشجرةِ وبريقاً متحرِّكاً؛ كانت
لجلودِ الفراخِ تتقافزُ في رقَّةٍ لتبدو من بعيدٍ كومة نحلٍ تتأمرُّ على الخلية،
الأغصانُ تهتزُّ في بطءٍ شابةٍ مستثارة،

كانت بعضُ حباتِ الصنوبرِ تتساقطُ بأدبٍ جمٍّ، تحرصُ الجاذبيةُ أن
تحتضنها بعمقٍ وتبقى ساكنةً حتى تركلها السناجبُ لجحرها الموشومِ
على جذوعِ الأشجارِ الباسقة ..

أنا على دراجتي أمرُّ بين الطُرقاتِ وتُحييني الأوراقُ المتساقطةُ ثم
سُرْعانَ ما تُخجَلُ تحت العجلاتِ وأحذيةِ العُشَّاقِ والأطفالِ، لا شيءَ
يُمكنُ أن يطرق ذاكرتك في تلكَ اللحظةِ إلا الغِبْطةُ. ولا شيءَ يُمْكِنُهُ

أن يشطرك لنصفين إلا لعقّ المثجات وأن تعود بريئاً لا تُراقب إلا
السعادة، حتى يطلّ عليك الحبُّ من بين ذاك الحلم وتسترخي معه على
العشب وتشاهده وهو يراقبُ كلَّ هذا بافتراس، ويَمَعِنُ النظرَ أكثرَ حتى
يلتفت ويصفعك بحقيقة أن تبقى وحيداً مستمتعاً خيراً من أن يُقال لك
(حلماتهنَّ صغيرةٌ جداً)!

بودروم- تركيا

بذرة اشتهاء

بَعْدَ كُوبِ قَهْوَةٍ مِنْ مَنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَزَخَّاتِ مَطَرٍ تَشِيحُ بِوَجْهِهَا عَنِّي؛ تَطْرُقُ
كُلَّ النِّوَاظِدِ عِدَا نَافِذَتِي الْمَطْلُوعَةَ عَلَى الْعَالَمِ الَّذِي يَدْفَعُنِي بَعِيدَةً عَنِ حَضْنِهِ
الدَّافِئِ.. تَعَاقِدَ الْقَدْرِ عَلَى أَنْ أَكُونَ بِاسْمِ الْحَبِّ عَالَةً عَلَى قَلْبِ مُجْتَمَعِ بَأْسَرِهِ..
اتِّفَاقُ أَبْرَمٍ عَلَى شَرَفِ تَعَاسَتِي، لَا أَحَدٌ يُمْسِكُ بِمِرْفَقِي إِنْ لَمْ تُسْعِفْنِي
عَافِيَتِي، وَلَنْ أَشْتَرِيَ فِرَاشًا مَزْدُوجًا.

ستبقى وسادة بعدد مفرد، ولا مكان لفخ الزوجية.

زخات المطر في الخارج لا تلامس واقعي، وبقيت على أخبار الطقس!
ذاك الذي يتقلب دون شعور بالانتماء؛ تصفق أبواب الفرح في صورة
غاضبة لمنحني حياتي، حتى باتت ملامحي في قسوة قشر البندق،
ولكنني رغم البشاعة حبيبة الطباع، وكريمة المبسم، زكية الروح، كل
شيء في روعي مثالي عدا وجهي الذي قررت النيران أن تلتهم جزءاً منه،
وتركت جريماتها في وجهي مخلقة من بعدها لعنة نار استوطنت أعلى
بقعة في جسدي..

ولا تكتفي الدنيا بهذا، بل أرغمتني.. لأكون لقيطةً وأوشم بابنة
الحرام وبذرة الاشتهاء، دون أن أنتمي لشجرة عائلة تضمني لأغصانها
ورقة شابة ثلاثينية، حياتي قد كتبت منذ الأزل أن أكون صدفةً في متاهة

الحياة، أن أكون كرسياً واحداً لعدة أشخاص يمرحون من حولي ويحاولون الجلوس عليّ دون أن أرخي لباس العفة، حتى تنتهي اللعبة وألقى تحت سلالم الذكريات بوجع ضخم يجحف الزمن عن تركِ الذكريات، فأنا لم أركب دراجة في حياتي، ولم تلقمني أم تفهم لغة جوعي، لم أحاسب على كمية المساحيق المدهونة في وجهي، لم أشارك مع والدتي في لباس واحد وتبادل الحقائق، لم يحقق معي أخ سمج يصغرنني إذا تأخرت، ليس لدي إلا اللعنات حينما تضيء شموع الأعمار، أتذكر فجيعه اللقطاء، ويسحب الألم نفساً عميقاً إلى مشاعري ينكمش كفو الوقت وأضيق، وأتذكر بأن ما تبقى من جزء الأمومة كان آخر جذر حي في شجرة حياتي التي استعصى على الأرض أن تبتلعها فلفظت عنها جذوري لأكون من نسل الشهوة النجس، مرفوضة فكرة وجودي قبل حياتي، وكيف أقتص من حياة خلقتني بعينين زرقاوين تموج الدموع فيهما كل ليلة، وحظاً بائس، ينام كيتيم ويستيقظ على ميتم، أستلقي على زند الأمل برهة ثم ما ألبث أن أنتفض على خيبة الأهل، في مشهد درامي حزين تكس أعلام انتمائي

جدة ٢٠١٥

على متن الحلم

كانت المرة الأولى التي يُقرَّر فيها القدرُ أن أصدعَ طائرة.. ليس لديَّ حقيبةٌ واشتريتُ واحدةً زاهيةً بيضاءَ نُقِشَ على أطرافِها الوردُ البلديُّ رتَّبْتُها بعنايةٍ وسألتُ عن أدقِّ تفاصيلِ تنظيمِ محتوياتِها، لم أُنم تلكَ الليلةَ وبتُّ أتخيلَ المطارَ والمدينةَ التي سأصلُ لها.

كان المطارُ بالنسبة لي نعاسًا هنيئًا ومهدأً يهزُّني رغمَ الضوضاءِ بهدوءٍ وأملٍ، كان الزحامُ لذيذًا، وأنا التي أكره الزحامَ... أحببته!

سمعتُ بعد أن مكثتُ ساعةً ونصفاً أتأملُ الوجوهَ والملابسَ تحطُ وتغدو على عجلٍ في راحةٍ المتابعِ لفيلمِ نزلٍ حديثًا؛ ارتشفتُ ما تبقى من القهوةِ التي طلبتها من مقهى الصالةِ المخصصة لكبار الشخصياتِ، حملتُ حقيبةَ يدي وسحبتُ خلفي حقيبةَ سفرٍ أخرى صغيرةَ الحجمِ، درستُ طويلاً كيف أتقنُ دورَ المعتادةِ على السفرِ، كم أبدو جادةً ومنسجمةً مع كل ما هو حولي، يُعادُ النداءُ على موعدها برقمها ووجهتها، قلتُ في نفسي لا يُهمُّ الرقمُ ولا الوجهةُ؛ الأهمُّ هو ركوبُ الطائرةِ.

وقفتُ في طابورِ الصُّعودِ، بقليلٍ من القلقِ والتوترِ، وعندما وصلتُ للشابَّ الذي يرتدي قميصًا أبيضًا وبنطالًا أزرقَ دون أن ينظرَ لوجهي قال: رحلةٌ سعيدة..

لا أستطيع وصف مشاعري، لكنني حلقت معها قبل أن نلامس
السماء...

السماء؟!

تسللت برودةً لأطرافٍ في بينما نتنظم في مجموعات كبيرة تقلنا حافلة
ضخمة إلى موقف الطائرة، لم أستطع إلا أن أستسلم للهدوء بعد أن تأملتُ
جميع الطائرات التي مررنا بها، كان شعورًا ملحًا وغامضًا.

كان مقعدي في المقدمة، خلعت معطفي وناولته للمضيف، كان شابًا
باهتًا وتبدو على ملامحه بعض الأحزان الصغيرة التي كومتها حساسيته
الزائدة، علمت هذا من محاولاتي مع الحياة.

شَرخ بسيط في موعد الرحلة آخرها مدة نصف ساعة؛ سمح هذا
التأخر أن أهدئ من رَوْع الدهشةِ داخلي وبعض الخوف الذي يجيء
ويذهب، كمالكٍ وَقح لا يُقدِّر ظروف المستأجرين، أصرفه عني بجهد فأنا
الآن استأجرت مقعدًا يُقلُّني للحلم، وهذه الهواجسُ تعكر صفو فرحتي،
كنتُ حريصة على النافذة..

النافذة التي سأطل من خلالها على الأرض لأول مرة، تناولتُ فنجان
القهوة العربية بأناقة وأمسكتُ بحبة التمر المطعونة بخشبة رقيقة وتابعتُ
النشاشة التي تعطي لكل الركاب تعاليم الطيران، ربط حزام الأمان وغلق
الهاتف وعدم التدخين، والسُّترة الصفراء للنجاة من الحلم والكمامة
التي تهبط من العلية والانزلاق للبحر مع ترك جميع الأمتعة، كلها علامات

ملاستي للانتظار، مقدار دقائق وسيبتلعُ هذا الضخْمُ عجلاتهِ الثلاثَ
ويرتفع، أغمضتُ عينيَّ وأمسكتُ بذراعيَّ الكرسيَّ مستعدةً بدُعاءِ السفرِ..
سأقتحمُ السماءَ على علوِّمَكني من التقاطِ صورةٍ مغمورةٍ بالسُّحبِ
البيضاء... لكنني فتحتُهما وأنا واضعةٌ يديَّ على عجلاتِ الكرسي المتحركِ
غائصةً في البكاء.

تركيا بودروم ٢٠١٥

سجادة قديمة

يسمر نظره على شاشة التلفاز ويتركها تغسل رغوة الحديث بإسفنجة الصمت، تنظر إليه بحزن المساجد المهجورة، تشيح بوجهها نحو المجلة. يطفئ سيجارته وينهض مقترباً منها ممسكاً منفضته، طالباً أن تسبقه إلى الغرفة، تكنس الممر المؤدي لغرفته بأصوات أطفالها وسوط أوامره، تدخل تخلع ملابسها، تستتر تحت فراشه، يدخل ويشعل كل الأنوار يمد يده تحت الفراش يجذبها من قدم واحدة، يعمل في صمت، حالما ينتهي... يتجشأ ثم يغني لصباح فخري... خمرة الحب اسقنيها..

بينما هي تحمل جسدها العطش لتنزوي خلف الباب...

كسجادة قديمة!

مرايا الصدفة

هذه اللوحات تصيبنني بالإحباط.. لطالما لم تنجح محاولاتي في فهم
البعد الثالث الذي يتحدثون عنه (هل لك أن تشرح لي ماذا ترى من خلال
هذه الخربشات)؟!

- لا تكثرني حبيبتي... هو فن سخي في الجميل

-إذن بعد أن تعود من سفرك ستشرح لي هذا السخف فالفضول يأكلني!
بعد مضييه بأيام، أخذت تتأمل صورته التي أرسلها لها، وهو في أحد
المطاعم الفاخرة يرتدي زيه بأناقة بالغة، حيث قال لها يومها، بأنه يحتفل
وحده بمناسبة مرور ثلاث سنوات على حبهما.

أخذت تتفحص بشوق ملامحه وكل ما حوله...

رأت في المرايا التي خلفه طيف امرأة تأكل من طبقه!

٢٠١٢

الجسر

نظر صاحب سيارة الأجرة من المرأة، للسيدة الشقراء التي تكفكف دموعها.
أجابته بصوتها المختنق: إلى جسر النهر..
وراحت تنكش حقيبتها وتخرج أوراقاً ونقوداً ثم تعيدها بحزن وأسى
ى وتقبل صورة لوالدها وطفلتها؛ مُعلّقة على عقدها الفضي البيضاوي
الذي يتدلى في ارتباك،

توقفت السيارة، خرجت السيدة مسرعة، خلعت حذاءها الأحمر
ووقفت على حافة الجسر بتورتها البيضاء الواسعة متوسطة الطول، يلعب
بها هواء المدينة الباردة، قميصها أحمر من الحرير المزخرف بذات اللون،
وشعرها مُنكبب على كتفيها كحلم ذهبي سارح في ظلام عابر، فردت ذرا
عيها وبعدها تمتمت ببعض الكلمات وهي تنظر لعمق النهر، هوت أفكارها
واستقرت ببطء كعملات معدنية تحمل في وجهيها الأمنيات، جلست لبرهة
واستدارت وسط أنظار من كان يراقبها بخوف، أخذت نفساً عميقاً وكأنها
تجرب التنفس لأول مرة، قفزت على الرصيف بخفة ومشت بخطوات مترنحة،
في انشءاء من ربح اليانصيب، عادت إلى السيارة وأغلقت الباب بهدوء...

على مرأى من السائق الذي كان ينظر إليها مبتسماً، سألها بهدوء:

- إلى أين الآن سيدتي؟

- خذني للحياة.

موسيقى صوفية

يتدلَّى الحب من أطراف الشراشف البيضاء، صوت الموسيقى اليونانية خافت، بيننا زهرة بلاستيكية وشمعة تعمل بالبطارية، وصوت حد السكين في الطبق، كصيرير قلمي وأنا أُوقَّع (الموافقة) في صكِّ نكاحنا، في محفظتي المكتنزة صورة لطفلينا لهما ضجيج العصافير وفوضى السناجب، ومن خلفي امرأة تتسج بخيوط العنكبوت نظرات واهنة، تقدمت خطوتين تفرش نيتها بوقاحة ترمي بأنوثتي أرضاً - : لديكما شمعة ولديَّ شمعتان، فهل تقبلان هذه مني؟!

ردُّ بغلُّ الصمت جاحداً:

- وفي الشرع أربع شموع.

آلة الكمان

بدأ درس الرياضيات، وعمَّ ضجيجُ أصواتِ الفتياتِ الحادِّ، بين صريرِ الطفولةِ وعمقِ أولِ البلوغِ، يتنافسُنَ على حلِّ المسألةِ الرياضيةِ المكتوبةِ بالطبشورِ الأزرقِ على خلفيةِ خضراءِ قاتمةٍ! وأثناءِ ضجيجِ الأرقامِ والقسمةِ والضربِ.

أغمضتِ عينيها في انسحابِ غريبِ، وبدأتِ بالتنفسِ العميقِ، وزميلاتها يصرخن: (تسعة، سبعة، اثعش) وهي تبتعد شيئاً فشيئاً عن ضجيجهنَّ حتى وصلتِ للسكونِ وفُتحَ الستارُ الأحمرُ الضخمِ.

أنظارُ الجمهورِ ترقصُ في دماها، وآلةُ الكمانِ على صدرها تربتِ على أعصابها، شعرها المنسدلُ للجهةِ المقابلةِ للآلةِ في انسجامِ مع عازفةِ ماهرةِ، بدأتِ العزفُ والتحركُ الوثائقُ على المسرحِ؛ والجمهورُ بين مبتسمٍ ومندهشٍ؛ وهي غارقةٌ في نوتةِ أحلامها.. تُمارسُ حالةَ العشقِ الساحرةِ بين قوسِ الكمانِ وأوتاره التي تبتهلُ كلما حركتِ ذاكرتها. يثور شعرها كلاً ما ارتفع صوتُ الحماسِ داخلها لتدخلِ في حالةِ صوفيةِ، يرتفع ثوبها الدائريُّ الملونُ الزاهي، ترفعُ الكمانِ بكلتا يديها وتستمرُّ في العزفِ والدورانِ، تدورُ وتدورُ في كلِّ أرجاءِ المسرحِ الضخمِ يبدأ صوتها بالارتضاعِ شيئاً فشيئاً مع ارتخاءِ يديها وأنفاسها المتسارعةِ

تشني ركبتها في كلاسكية راقية وتقول: ثمانية!!!!
مع تصفيق الجمهور ورمي قبعاتهم فتحت عينيها بهدوء عند سكوت
زميلاتها وتعجب المعلمة!

الرياض- ٢٠١٠

سيلفي

في كل مرة أحاول أن ألتقط صورة (سيلفي) من زوايا مختلفة بأبعاد أبداً فيها أصغر سنًا وأندى بشرة لكن دون جدوى. لم تكن صوري في ديسمبر الماضي بهذا الشكل، كانت ملامحي أرقَّ ولم يكن للأنفخات والهالات تحت عيني أي أثر، أمعن طويلاً في عدسة التصوير الأمامية لا أدري إن كنت أتأمل وجهي أم ذاكرة شبابي.. أنا ما عدت أنا، بدليل «أقدام الغراب» التي ظهرت على زاوية عيني الخارجية كما أسمتها لي طبيبة الجلدية- تقصد التجميدتين اللتين تظهرا في زاويتي العين عند الضحك أو الابتسامة- لا أصدقها حينما قالت: هذا طبيعي حتى الأطفال لديهم ما يسمونه برجل الغراب!

تري أكانت تواسيني فعلا على هرولة عمري؟

أم قرأت مسافة اليأس التي قطعتها من ديسمبر الماضي وديسمبر الحالي؟

تري شعرت بالذنب تجاه حزني الذي نصب صيوانه حول عيني؟!

لا بأس!

قد قرأت عن أحد منتجات التجميل (قولي وداعاً للتجاعيد).

وماذا عساي أن أفعل برجل جعدته الغربية؟!

أأهديه هذا المستحضر؟!

لعله يبصق في وجهي إن فعلت..

قطعتُ عهداً بعد كل تلك التساؤلات (العبيطة) بألا أقلب صوري القديمة، سأترك هذا الدور لأحفادي، أما أنا فسأحاول أن أهش الفكرة الزمنية الراهنة وأمضي راسمة بقية التجاعيد وسأقول (وداعاً للتجاعيد) بطريقتي، فما من مستحضر مهما تقدمت جراحة التجميل، أن يوقف رواية أعمارنا على وجوهنا.

وللكون رسالته التي يختمها بختم الوهن!

الجميل حينما تُقرر التغيير تتجلى أمامك الحقيقة الرائعة، بأنك كائن أبدي (خالد) إن قررت الطريق.

فحينما كان الممثل المصري الوسيم (مصطفى فهمي) جالساً إلى الطاولة المجاورة لي مع مجموعة من الأصدقاء، كان يرتدي سُترة من اللون الأصفر القاتم وشالاً أزرق قاتماً أيضاً، يتجمهر الناس من حوله بينما هو يتناول وجبة الإفطار داخل مقهى في (السوليدير) في مدينة بيروت، كنت أراقب وجهه وابتساماته التي يوزعها هنا وهناك، ووقوفه المتكرر لالتقاط الصور مع المعجبين، لم يبدُ عليه الضجر مطلقاً، بل كان مسترسلاً محلّقاً بقلوب محبيه، فكرت في أن أنهض لالتقط صورة معه لكنني تراجعت من دون سبب واضح.

بينما أنا سارحة نحوه، يضع النادل أمامي فنجان قهوتي؛ يقول وهو

ينظر للممثل المشهور: (يا الله كبرتو شو حلوة)!

- ماذا تعني؟!

ابتسم ومضى بعدما أشار بيده... انتظري.

فهمتها بعد الرشفة الثانية

(الروح والحب)!!!

بيروت- ٢٠١٣

زكي

يقف المجنون زكي قرب الحائط، يسند أذنه عليه ويغمض عينيه في
انسجام ويطمايل.. تدمع عيناه في قهر رجل بئس، يعضُّ على أصابعه التي
تقاعدت عن البوح..

طيلة السنوات التي يقضيها حتى اليوم في المصححة النفسية، يسبل
روحه ويكتب في الهواء...

لا أحد يدري ما يكتب هذا المجنون، والذي كان في ريعان شبابه صحفياً
يكتب عن السياسة ما لا يكتبه أحد، ومن يشاركه الرأي زجَّ به أيضاً في
أماكن لا تشرق عليها شمس الحقيقة!

يعاود الكتابة منتصباً أو جالساً، ويجمعها في ملفات ذاكرته ويوزعها
على الخيبة.

يمر الطبيب من عنبر زكي.. مخاطباً إياه باستحقار..

- أما زلت تسمع صوت الشعب يا زيكو؟!
- أجل أسمع.. فالشعب من بنى هذه الجدران.. وحفظت مواويله الحزينة.
- هذا المكان ملك للحزاني أمثالك إذن؟!
- نعم.. ويومًا ما ستدلع نيران الحزن وأول ما ستحرقه هو هذا المكان!

باريس- ٢٠١٤

أصفق..

لمحت هذا الصباح وجهًا عابسًا يمشي عكس تيار الجموع رافعًا يده التي تحمل قلمًا للأعلى متجهًا نحوي وكلمًا اقترب علا صوتُهُ وارتعدت فرائصي، توقفت أمامي محدثًا لهيبًا من ورق وسال من فمه حبر أتلف قميصه، اقترب من وجهي ومن خلف أسنانه المصطكة قال كلمات لم أفهمها، حاولت لكنني مرعوبة الفهم.. ولم أتزحزح من مكاني.

كان شعورًا مخيفًا ولم أستطع أن أكمل يومي، وعدت للمنزل بشعور الذي وصله للتو أن الحرب العالمية الثالثة بدأت للتو.

تكوّمت كشال مُبتَلٍّ ورميتُ بكل حمولي على الكنبة، نعتت من فكرة مقاومة خوية حتى تداركني النعاس.

ليعود ويزورني في المنام بالملامح ذاتها، لكنه هذه المرة عار تمامًا، يحاول أن يثير لدي رغبة الكلام وشهوة الاستماع، لكنني كنت أنظر نحو الباب خوفًا أن يدخل أحد ويراه عاريا هكذا.. جثا على الأرض وبكى.

استيقظت بمزاج سيئ وقهوة مُرة ...

ركبت دراجتي الهوائية متجهة للهروب، وهممت أن أضع خودتي فطوّقتي على مهل، أفزعني فلکمته بالخوذة وقُدتُ بسرعة عالية؛ تسببت في دخولي المستشفى إثر اصطدامي بعربة بائع الخضروات المتوقف على جانب الطريق. أذكر أنني حينما اصطدمت به حلقت في الهواء كيمامة

صاها قناص ماهر وهى الآن ترقص رقصتها الأخيرة... فى لحظتها
حىث الدوران حول شرىط حىاتك ظهر كملاك وضع ىدیه تحت ظهرى
وأنزلنى بلطف على رصىف الشارع قبل أن ىسعفونى.

رائحة المعقمات والمخدر تقترب لكل مسامات جسدى، كنت ألمحه من
خلف الزجاج ىراقب حالتى وىبتسم فى هدوء، لىس هو الوجه العابس ذاته
بىن الحشود، كان مهملئاً بالرحمة والأبوة التى تتفجر من عىنیه، أرفع
رأسى لأجده هو الطىب المعالج ومساعدہ، أصابتنى حالة هستىرىة،
أحضّر الإبرة المهدئة لىدسها تحت جلدى كقبلة أمىرة الثلج لكن بمفعولها
المعاكس، لأنام طویلاً وأتخلص من ألم ملاحقته لى وتلذذى بحضوره الآن.
عاد من بىن القطن وشاشات التعمىم واللاصق الطبى عارىاً، رائحة
المسحات الطبىة فى أنفاسه كلما اقترب، شعرت برغبة فى الاحتضار
لكن هذه الأسلاك الملونة تربطنى بالحىاة كوحش مفترس لا ىقوى إلا
على إصدار أصوات انهزامىة، جلس على طرف السرىر، ممسكاً بىدى
القئىلة الموخوزة بالمغذى، قَبَلْها ووضعها على صدرى، كان ىهز رأسه برضا
وىمسح على جىبىنى وىقبله برقة العاشق الحزىن، انسكب الحبر من أنفه
وأحدث تشققات على وجهى، كانت دموى مصاحبة للحبر وعجزى عن
الحراك أعظم مصائبى، ابتسم وهو ىمسح بقىة الحبر على جسدى بىدیه
الغرىبتىن؛ الىمنى زهرة بنفسج والىسرى ىاسمىن، كان ىمسح بها جسدى
كله وكلما اقترب من جهة ىدى الىمنى أو قلبى ىفرکها كعملىة إنعاش
مستمىة، لم أستسلم ولم أمنعه من التودد لجسدى الناشف، لكننى كنت
أرفض عجزى وتمكنه اللعىن من إفساد حىاتى.

بدأت أشعر بوخز خارجي جديد، وصوت الطبيب كأنه في حفرة عميقة وأنا المستلذة برمييه فيها، يعبر اسمي كدخان قطار قديم. تتشكل أحرف داخل نفق مظلم فتضيع حروفي ويتوقف القطار.

يمد يده كبطل أفلام شجاع يلفني في الشال الذي يربطه حول عنقه ويطير بي بعيداً حيث الواقع، أستيقظ لأحتضن أمي وأصوات أسرتي الصغيرة، التي تحمد الله أنني فتحت عيني، في تلك اللحظة كلهم كانوا (هو)!

وبكل سخرية الصحة من جسدي العليل تقبلته في أصوات الأحبة ورائحة المكان وهاتفي الذي طلبته ولم يستجيبوا لطبي لأنها أوامر الطبيب. في تلك اللحظة الدائخة تمنيت فنجان قهوتي التركية وسيجارتني المارلبورو، ومنفضة أضعها على فخذ صديقتي التي لم تتغير ملامحها مثلهم، بقيت كما هي الهادئة المتماسكة، التي تحزن إن لم تُهدني كل يوم أغنية.

شعرت بالأمان وبأنني بخير؛ على الأقل هناك وجه واحد أعرفه وأثق به ولم أفقد جُلُّ ذاكرتي ولم يتحول الجميع لذاك الشخص الحائر الذي راح يقترب من قلبي الجبان.

ذهبت رغبة القهوه والتدخين، عدت في لحظة وسط حشود من البشر يُصنقون لي بحماس، كان لحظتها يقف بعيداً على صهوة حصانه يرفع قبعته ويبتسم، أرسل قبلة بينما أنا أجلس خلفه أراقبني وأصفق.

كابوس ٢٠١٣

كوريين

في سن الثامنة تُكرر أمي على مسامعي (انتبهي من الكوريين) كانت تقولها لتفزعني من فكرة الحرية والانطلاق والاختلاط بالآخرين لأنهم أكلو لحوم البشر، أصبح العالم كله كوريين في نظرنا، وأنا وصديقتي وحدنا الناجيتان من هلاك أن يتذوقنا الآخرون، لكنها في غمرة اللعبة حكّت لي أنها قُبلت ابن الجيران، ولم يكن كوريًّا كما أفهمونا !!
بل كان عذبًا شهيدًا جريئًا كما تحب.

حينها شجعتني حكايتها على أن أطلب منها أن تقبلني كما قبلها،
لأنني أخشى أن أخفق إن طلب تقبيلي هو أيضًا!

لن أنسى ضحكتها البريئة وأسنانها اللامعة تحت الشمس ونحن نرتفع بالأرجوحة للسماء، وأنا أعيد عليها أن تفعل ويتناثر شعرها البني حول وجهها وهي تعيد اندفاع الأرجوحة للأعلى، ثَبَّتُ قدمي في الأرض وادعيتُ بأنني غاضبة منها، كانت تعقد سلاسل الأرجوحة بالدوران ثم تقلتها لتدور بسرعة جميلة اعتدنا عليها وهي تسخر من طلبي وتقول بصوت ساخر (قبليني قبليني) وتُخرج لسانها.

كان يا ما كان

تناسيتُ بأنَّ أبانا آدمَ وأمَّنا حواءَ؛ عليهما السلام؛ ظاهرا على الجنة
وخرجا منها ليتناسل من جذرهما فروعٌ تمتد بعيدةً تُخفيني في صُلب
أبي لأثور في رحم أمي على حيوانيتي وأكون بعد كُرهِ بشرًا سويًا!
لتختارني الحياة ورقة خضراء تطير صوب الجنة في تمردٍ جديد
لعكس الآية.

لسببٍ ما كنت أخاف من إظهار هذا التمرد الذي يسري في دمي سريان
النار في الهشيم، كنت فتاة مطيعة لوالديها، ودبعةً لدرجة الانطواء، ولأنني
أسلم للأشياء نفسي تزوجتُ في سن مبكرة لم ينفر فيها نهدي بعد، ولم
أميز رائحة البهارات، ولا أعرف كيف هو الاغتسال الصحيح من الجنابة،
رغم هذا كنتُ مثالية، أو هكذا أبدو لكل من يراني.. أنجبت طفلي الأول
وأنا في أول سنة جامعية، وأنجبت ابنتي وأنا في السنة الثالثة، ثم مررتُ
بمرحلة أتذكرها جيدًا

(الاكتئاب)!

ومن يصدق تلك الشهور الغابرة التي لم أنم منها إلا سويعاتٍ أعدّها
على أصابعي العشرين أنا عاكفة على عظامي وهزالي وشعري الذي
يتهاوى كأوراقٍ انتهت تاريخُ اخضرارها.

لم يكثرث أحدٌ وبقيتُ وحدي كما أعتقد، أدافع عن الطائفة الورقية الوحيدة التي بقيت في صدري والتي إن لم تطر الآن فلن تحلق مجددًا.

لم أشعر وقتها بالزمن ولا أتذكر فصول السنة، فقط كنت في فصل واحد طيلة تلك الفترة (الخريف)، كنتُ وأنا صديقتين متخاصمتين سرعان ما يولِّي كلُّ منا ظهره لليل، وأبقى أنا كما أنا.

تناسيت وقتها مسؤولياتي كأم وزوجة.... زوجة؟!

هذا الدور البائس الذي وضعته على الرف، كنت ألتقط كلَّ صباح حجابين مقطبين كلما لامست أصابعه يدي،

أشبح بوجهي في كل اتجاه عدا اتجاه واحد.

وعندما طرقت باب التسريح في يوم كان مقداره خمسين ألف وجع يحمل بين يديه ورقة الصبر؛ وَضَعَهَا ورحل في سلام، يَجْرُ خيطُ الأملِ البعيد وأنا أراقبُ أضواءَ سيارته تتسحبُ، من نوافذِ الصالونِ المظلم طيلة العام، كسيفٍ يقطعُ الوقتَ ثم يرحل صامتًا.

كان صوتٌ داخليٌّ سمجٌّ يرفضه، وصوتٌ عذبٌ يبكي لأنه لم يصبر على المودة والرحمة، ومضى دون إصرارٍ، دون أن يسألني عن ملامحي الشاحبة، وعزوف في الحياة. منذ ذلك اليوم اتخذت من صوت (ميادة الحناوي) نحيبًا متواصلًا تشرخ قلبي بالحنين..

كان يا ما كان الحب مالي بيتنا ومدفيه الأمان

رقص شرقي

بعد صلاة العشاء؛ وأثناء محاضرتِه المطولةِ في المسجد، يُحدث فيه الناس عن حرمانية الغناء وميوعة النساء بالعباءة المخصرة وتشعب يثير شهوة المستمع!

هناك وقت لارتكاب الحلم، تغلق الباب وتضع سماعة أذنيها وتشد على ردفها شانها الأسود المتهاك، تتمايل على أنغام العود وتَهْزُ سائر بدنها على الطبل، تغمض عينيها وتتخيل بأنها ترقص على مسرح استعراضى، ببدلة رقص بيضاء ناصعة وخُرس معلق على سرتها من الكريستال بدمعة من الفيروز تتدلى على بطنها الضامر، تتموج بمرونة تامة، رافعة شعرها بكلتا يديها تلقي بخصرها للخلف، في تبرج صارخ تتسجم مع اللحن وتبدو معه كأنها آلة موسيقية ثالثة، تعزف بجسدها منظرًا بديع الأنوثة.

مضت سبع دقائق تحفظها مع الهزة الأخيرة على «دم تك» الطبلية وإدارة مفتاح الشقة، ينفلت الوشاح من ردفها، تغلق أزرّة ثوبها الأصفر المزركش بالورود الحمراء لتتجه نحو المطبخ.

أغلى من جسد

أُمسك ببضاعتي.. خرق بالية وعلوك من نوعية سيئة، على قدمين حافيتين أمشي مُحَنّاة بحرارة الأسفلت، أتعلق بنوافذ السيارات وأجول بين الطرقات أتوقف وأتأمل الأطفال في المنتزه يتأرجحون في سعادة وأنا أبيعها لهم بعد إلحاح.. ينظرون شزراً لي كأنني أدعي تجاهلهم حتى أحصل على ريال مهترئ.. والقليل يكرمني.

أنا قصة الشوارع الحزينة أرقد على الأرصفة متوسدة التعب.

أكبر أحلامي...

أن أعب في المنتزه بلباس نظيف وأشرب مشروباً غازياً مع وجبة أطفال؛ التي طالما راقبتها من نوافذ بيع الوجبات السريعة وفرحة مَنْ هُم في مثل عمري، حينما يحصلون بداخلها على هدية أشاهدها بانبهار وتلمع عيناها!!!

لكن سرعان ما ينطفئ ذاك السراج، حينما أسمع صوت بطني وأكمل توسلي مغادرة أبسط حقوقي، في أن أتمنى.. لعبة.

أتوسلهم دمية أسرح شعرها وتنام بقربي..

ثقوا بأنني لن أحطمها.. فمن منا يحطم حلمه؟!

أتوسلهم أن أرسم شمسًا وشجرةً وبيتًا صغيرًا، وحمًا نقيًا يخلصني
من البراغيث والقمل.

لكن كيف سأمرح بكل هذا وأنا فريسة من يجذني وحيدة؟
فكل فرحة تنبت على ملامحي يقطفها المار بدم بارد.. يتلمس جسدي
 ويفرك طفولتي بجسده الضخم مقابل عشرين ريالاً، يقولون لنا الأحلام
أغلى من أجسادنا... وأنا طفلة فقيرة.

على خط الخمسين

أعيد ربط الشال على عنقي حتى يُغطي التجاعيد التي بدأت تظهر
وأنا أشقُّ مسافتي للخمسين، متأملة في موظف جديد يعمل لدى الشركة،
إلا أنهم جميعاً استغلاليون يأخذون علاواتٍ على حساب زاويتي المنفرجة
ثم يتنكَّرون لي!

حتى دخلت تلك الموظفة الشابة العائدة من شهر العسل ببقعٍ بنفسجية
تطوق عنقها، مسدلة شعرها الأسود الكثيف بحذرٍ يغطيه..

لكن ماذا عساي إلا أن اشنفها بوشاحي حتى تختنق بتلك السعادة.

انتحاب

كنتُ طفلةً مجنونةً أعد الليل بالهروب ولا نجمة تدلني على الطريق،
لكنني أنا وأخي نترقب الطريق كل عصر، نشعل فتيل التحدي بيننا بأن
أعده بـ ١٠ ريات مقابل أن يقطع الطريق متفادياً السيارات المسرعة في
حلمه، وفي كل مرة يكسب التحدي، حتى امتلأت حصالته بكل مصروفي..
وفي يوم هادئٍ تعكس أشعة الشمس صورتنا على نوافذ السيارات
وتتقاسم الأشجار غرماً من اللحظات في الظل.. نبدأ التحدي وعند حافة
الرصيف.. انتقلت كل أحلامه بِاسْمِي.. في لحظة انتحبت فيها أمي!

٢٠١٦

صَبَّار

وَقَفْتُ عِنْدَ طَاوِلَةِ الْمَطْبَخِ.. سَكَبْتُ كَأْسًا مِنْ عَصِيرِ الْجَوَافَةِ.. قَرَبْتُهُ مِنْ أَنْفِهَا وَسَحَبْتُ نَفْسًا سَرِيعًا وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَحْرُكُ رَمُوشَهَا:

- هَذَا الْعَصِيرُ ثَخِينٌ وَرَائِحَتُهُ نَفَازَةٌ.. أَلَا يَذْكُرُكَ بِشَيْءٍ؟!

نَظَرْتُ إِلَيْهَا مِنْ خَلْفِ الْمَجَلَّةِ:

- لَا، لَا يَذْكُرُنِي إِلَّا بِكَ، فَأَنْتِ لَا تَفْضَلِينَ سِوَاهِ.

- غَبِيَّةٌ.. أَلَا تَعْرِفِينَ سَبَبَ غَرَامِي بِهِ؟! إِنَّهُ يَذْكُرُنِي بِمَاءِ الْحَيَاةِ!

نَظَرْتُ إِلَيْهَا خَدِيجَةً بَعْصِيَّةً:

- إِلَى مَتَى سَتَسْتَبَاهِينِ أَمَامِي بِأَنَّكَ لَسْتِ عِذْرَاءٌ؟ مَاذَا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ

بِحِمَاقَاتِكَ وَأَنْتِ سَتَبْلُغِينَ نَهَايَةَ الْأَرْبَعِينَ قَرِيبًا؟

تَمَرَّرَ عَبِيرُ السَّيْجَارَةِ مِنْ تَحْتِ أَنْفِهَا وَتَمَدَّحَ نَوْعِيَّةَ التَّبَعِ، تَبْتَسِمُ:

حَسَنًا تَعْلَمِينَ أَنَّنَا صَدِيقَتَانِ مِنْذُ زَمَنِ وَتَعْلَمِينَ جَيِّدًا لِمِ فَقَدْتِ عِذْرِيَّتِي!

قَبِيلَتِي الْعَظِيمَةُ الَّتِي أَنْجَبَتْ فَحُولًا وَعَنْزَاتٍ يَعْرِفُونَ تَمَامًا أَنَّنَا مَهْمَا

بَلَّغْنَا مِنَ الثَّرَاءِ وَالتَّمَدُّنِ إِلَّا أَنَّنَا شَعْلَةٌ تَحْرُقُ كُلَّ مَنْ يَنَادِي بِالمَسَاوَةِ وَأَنَّ

الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَعْجَمِيِّ وَنَحْنِ، هُوَ فَارِقٌ يَعَانِقُ رِيَّاحَ الزَّمَانِ، يَنْسُونَ أَنَّنَا

صحراء ملتهبة، طلّعها الحريق، خيامها الشهوة، طعامها من تحت الثياب
الفضفاضة، وهذا العُمر يضرب خيامه في باديتي، وكل يوم ينبت في عنق
العمر صبارٌ وتنبض ألف تلة، ويكبر فرعون اللامبالاة.

دبي ٢٠١٣

نَجَوْتُ!

تُوصد الأبواب، عندما يترهل الضمير، فليس المجرم الذي يقتل بل من يدَّعي الفضيلة، فهم اعتادوا على هتكِ عرضي في الأروقة المظلمة من الحياة، في الجانب الحالك تحت جناح الفضيلة، هذا في كل مرة أطالب فيها بحقي في ميراث أبي، بعد أن تنازلت أُمِّي عنِّي قبل زواجها من رجل أخذها ورحلا بعيداً عنِّي، ولا بصيص أمل لعودتها لتنتشلني من قمامة عمِّي الذي استغلُّ يَتَمِّي وَسَخَّرَنِي ليلِهِ الموحش، تحت شعارنا نحن أولى بلحومنا. ها أنا في هزيمة العُمر العشرين أنتَهَكُ في كلِّ ليلة من أحدهم، حتى غدوتُ بستانَ خوفٍ أذبلته السيول، حاولتُ الهروب لكن إلى أين؟!

فليس بوسعي إلا أن أرمي بحمولي على ظهر جلدي، تناولت الموز والفريز بكثرة حتى طفحت الشكوى وتحسس جسدي، ليقلني عمِّي مرغماً إلى الطبيب بينما نحن في الطريق، ونور النجاة يقترب ونفق الهموم يضمحل في ظلمته، أَلقيتُ جسدي المحتل على الطريق لأنهي الرواية ولعلِّي أنجح هذه المرة...!

ولسوء حظي نجوت!

نجوت ليقودني بؤسي إلى إخصائي نفسي عليل يحصر وطن عمري

في تشخيص يوجب الانتحار وبتاريخ مُنْتَهٍ مِنْهُ صلاحية الحياة وَقَعَ في
نهاية التقرير: (ذُهَان) *!

* ذُهَان: خلل نفسي مرضي في التفكير المنطقي والإدراك الحسي

راقي

كلُّ شيءٍ على ما يُرام... فقط عليكِ بأذكار الصباح والمساء، وتدهني بهذا الزيت المخلوط بالقسط الهندي والمسك الأسود قبل النوم واشربي من هذا الماء المقري عليه، اغتسلي بخلطة الرومي سبعة أيام متتالية بعد صلاة العصر، ولا يعاشرك زوجك طيلة فترة علاجك، راجعيني بعد انتهاء المدة.

كان زوجي متوتراً في البداية وأمه أيضاً، بعدما صرح لهما الشيخ الذي عُرف عنه بأنه أبرع من يفك الأسحار ويعالج المس والعين واللبس! نعم اللبس. وقد شفي على يده الكثير، وهذا ما كنت أعاني منه؛ كما قال لهما، زوجتك ملبوسة من عفريت عاشق، وهذا بفعل سحر دفن في المقابر، والله أعلم.

ساد صمتٌ موحش وغيمة من الأسئلة التي تتطرح في ذهني، أيُّ عاشقٍ هذا الذي يمنعني من الإنجاب سنة كاملة منذ زواجنا ويستلذ بإشعال المشاكل بيني وبين زوجي، وتتدخل أمه في كل صغيرة وكبيرة، حتى باتت حياتنا شقة في الجحيم. لم يكن مسؤولاً كما يجب فقد يتركني بالساعات وحيدة ليمضي وقتاً ممتعاً مع أصدقائه، ويعود غير قادر على معاشرتي.. وأنا الخادمة البائسة لأمه التي لا تقفأ تعابرنى بد (الأرض البور)،

قبل أي طلبٍ ألبيه لها لتصمت، لم تسمح لي بزيارة أهلي إلا في الأعياد والمناسبات الكبرى، بحجة خوفها عليّ بأن لا أتعرض للمساءلات عن تأخر حملي، حتى نصّحتها إحدى قريباتها بهذا الشيخ، الذي على يده تزوجت ابنتها التي تجاوزت الثالثة والعشرين ولم يتقدّم لها أحد إلا بعد علاجه،
يا لها من مأساة!

كان في بقية الزيارات يطلب الشيخ أن أكون معه بمفردي حتى لا يدخل العفريت في بقية من معنا في الغرفة، ملامساته وتهدياته ووضعها الذكوري لم يكن طبيعياً، يُمرر أصابعه من أعلى رأسي حتى أخص أصابع قدمي، ويركز على صدري، ويتلو الآيات بخشوع مدهش، وحينما أفرغ من زيادة ضغطه على جسدي أصرخ وأبعده عني، فيجبرني على الاقتراب ويضربني بكل قوته على مسمع من زوجي الذي بات يخاف الاقتراب مني، ولا يصدق ما أنقله له عن تصرفات الشيخ داخل تلك الغرفة المستترة تحت لوحة معلقة (الراقي الشرعي)، كان كل ما يدور فيها غير شرعي، وبعيداً كل البعد عن صورته الماثلة أمام من يوقرونه ويُجلّونه.

ضربتُ بالسوط حتى تقسّخ جلدي، وحينما خرجتُ مصروعة من بين يديه لمحتُ أطفالاً ورُضعاً، مع آبائهم، يحملون ملامحه!

إندونيسيا- جاكرتا ٢٠١٦

لم تنتهِ القصص بعد... ولا يزال في القوارير بقية!



للتواصل مع الكاتب:



mahasalnahdi



mahasalnahdi



mahasalnahdi



maha.alnahdi@gmail.com